الخواجه بورقيبة

للأستاذ: عثمان العدل



العدد السابع والستون

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

كتب إسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الخواجة بورقيبة

للأستاذ: عثمان العدل

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة



بسم الله الرحمن الرحيم

« ... أَلاَ فِى الفِتْنَةِ سَقَطُوا . وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافرينَ »

(التوبة : ٤٩)

« من فارقَ الجماعة قِيدَ شِبْرٍ فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِهِ »

(حديث شريف)



لعـــــل من أبرز الأمثلة على الرجعية العميلة المتحالفة مع الاستعمار فى العالم العربى والاسلامى الخواجة بورقيبة رئيس جمهورية تونس ، والذى كشفت مواقفه الأخيرة عن وجهـــه الحقيقى فكان من اشد الرجعيين اخلاصا وتعصبا فى تنفيــذ مخططات سادته المستعمرين ، الذين يقفون للعرب والاســـلام بالمرصاد .

وهدفنا فى هذا البحث الموجز ان نعرض لهذه المواقف تحليليا وتاريخيا فى محاولة لدراسة هذه الشخصية التى تجمـــع من المتناقضات ما يستحق أن نقف أمامهــا برهـــة ، وعندها سنتبين الحكمة من اختيار بورقيبة لهذا المسلك الشائن الذى وضعه فى زمرة الخوارج من امثال فيصل السعودية وشاه ايران .

ونحن اذ نقف على بعض المواقف المخزية لتلك الشخصية ـ التى تنسب للعرب والاسلام ـ والعرب والاسلام منها براء ـ انما نشعر بفداحة الخطأ الذى ارتكبه بورقيبة العميل فى حق شعب تونس الشقيق ، وفى حق العروبة ، وفى حق الانسانية جمعاء باندفاعه الأحمق للتآمر مع الاستعمار والصهيونية ، واعادة بلاده الى مناطق النفوذ الاستعمارى من جديد ، وهى التى ضحى شعب تونس بدماء شهدائه لتحريرها من الاستعمار الفرنسى .

من هو بورقيبة ؟ وماذا يريد ؟ وما هى سياسته ؟ ثم ما هو دوره الحقيقى فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخ القضايا العربية الراهنة ؟ فى هذه الصفحات التالية سنحاول الاجابة على هـــذه الاسئلة من خلال مواقف بورقيبة فى المجال العربى والأفريقى وفى المجال الداخلى فى تونس .

المؤلف

البَابُ الأولُ

البورقيبية ...

.. وجه الخيانة فى أخطر القضايا العربية

سياسة خن .. وطالب !!

« ان حرية العمل التى تصورنا أن توفرها مؤتمرات القمة للدول العربية داخل أراضيها المتاخمة للوطن السليب . ما لبثت أن اصبحت حرية العمل الرجعى ضد الثورة العربية »

« الرئيس جمال عبد الناصر : فى افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الأمة ١٩٦٦/١١/٢٤ .

المكان القاهرة ، عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، والزمان اليوم السادس عشر من يناير عام ١٩٦٤ . وفى مقر الجامعة العربية امتلأت قاعة المؤتمر الكبير برؤساء وملوك الدول العربية . واعضاء الوفود ، ومن حول القاعة وفى الاروقة مئات من مراسلى الصحف ووكالات الانباء والاذاعة والتليفزيون جاءوا من كل مكان ، فالموضوع المطروح للمناقشة هو قضية مصيرية . يتوقف عليها مستقبل العالم العربى بأسره — وهى قضية الوطن السليب . فلسطين .

بل ان الاجتماع فى ذاته كان ظاهرة سياسية تستدعى اهتمام الصحافة والرأى العام العربى والعالمى ، ملوك ورؤساء الدول العربية : ومنهم من يمثل نظاما رجعيا يدور فى فلك مضاد للاتجاه العربى ، ومنهم من يحمل شعلة الثورة والحرية .

- وعلى امتداد الوطن العربى كان مائة مليون نسمة يتنظرون فى أمل قلق ما يتمخض عنه المؤتمر . وفى خلفية الصورة فى ذهن كل عربى كانت حقيقة التناقض واضحة جلية : تناقض الاتجاهات والحملات الاعلامية التى كانت تتبادلها عواصم المنطقة العربية .

ولكن قرارات المؤتمر اسفرت عن تغلب الأمل على المخاوف وخرجت الدول العربية بمفهوم جديد تستطيع العمل من خلاله وهو وحدة الهدف ـ دون وحدة الصف ـ لتحقيق حرية العمل لكافة الدول العربية داخل اراضيها كخطوة أولى ثم تتقـــدم من ذلك الى حرية العمل لانقاذ الاراضى المغتصبة من فلسطين .

وهكذا بدأت الامور بداية طيبة خيل الينا معهـــا أن النظم الرجعية الحاكمة فى العالم العربى مهمـــا كان من تناقضها مع قوى الثورة العربية . قد بدأت تدرك الخطر الداهم على الأمة العربية كلها من استمرار التواطؤ المشين بين الاستعمار واسرائيل وهو التواطؤ الذى سمح قبل أى شيء آخر بهذا العدوان المستمر على أقدس البقاع فى وطن العرب .

وكانت أهم العوامل المشجعه القرارات التى صدرت عن مؤتمر القمه العربى الاول ومنها ـ بل وأهمها ـ قرار بأن « يحدد العرب فى المستقبل علاقاتهم بغيرهم من الدول على ضوء مواقف هـذه الدول من الحق المشروع فى فلسطين » ..

وتغاضت القاهرة بروحها الثورية ونظرتها البعيدة عما سلف من إساءة .. ومن تواطؤ الرجعية العـــربية مع الاستعمار فى محاولة ضرب حركات التحرير فى الجنوب اليمنى المحتل وفى اماكن كثيرة من العالم العربى ـ واحتضنت بهذه الروح المتجددة مؤتمر الملوك والرؤساء الذى دعا اليه الرئيس جمال عبدالناصر ..

فهل نسيت الرجعية تناقضها ـ او تناست ؟

ان كل الأدلة تشير الآن بوضوح الى أن القوى المعـــادية للثورة العربية لم تجد فى مؤتمرات القمة الا انها تصلح كفرصة تلتقط فيها الرجعية المضروبة انفاسها ، وتغير جلدها ثم تستأنف مسيرها .

ففي الوقت الذى هدأ فيه جو العمل العربى مع الأمل الجديد فى تنسيق شامل لاستعادة الــــوطن الفلسطينى السليب كان الخواجة بورقيبة رئيس جمهورية تونس يردد تصريحاته الرنانة عن استعداده لارسال القوات المسلحة التونسية الى الخطــوط الامامية للمساعدة فى المعركة المقدسة ، ولكنه كان كمـا كشفت الظروف فيما بعد ـ كان يعمل فى الخفاء فى مخطط استعمارى رجعى كبير سنأتى الى تفصيله فى هــذا البحث . وكان هدف بورقيبة أن يستبدل السيد الفرنسى ويحل محله سيدا أمريكيا يجد فى ظله استقرارا أكبر لعرشه الجمهورى العجيب ولنظام حكمه الذى يجمع من المتناقضات ما لم يتوافر فى اى نظام آخر .

وفى الرياض تم التغيير . واستبدل ملك بملك ثم بدأ الهجوم الرجعى الجديد يحاول ستر ملامحه القبيحة بادعاء الاســلام .. والاسلام منه براء ..

وقد ظهرت هذه الفكرة المسمومة عقب زيارة فيصـــل السعودية لشاه ايران فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٦٥ فى شكل دعوة لانشاء حلف دينى جديد اطلقوا عليه اسم الحلف الاســلامى .. وكان من الطبيعى أن تواجه فكرة الحلف بالمعارضة التـــامة والاستنكار من الشعوب العربية المتحررة .

لكن الخواجة بورقيبة رئيس جمهورية تونس كان أول من تحمس للحلف الاستعمارى . وسارع الى القبـــول والانضمام والدعاية لهذا الحلف . وهو ليس الا امتدادا للحلف المركـــزى « بغداد سابقا » المتداعى .

فلماذا يسارع بورقيبة بالتلهف على قبـــول فكرة الحلف الاسلامى المزعوم ؟

... أن الاجابة على هـــذا السؤال تستلزم استعراض موقف بورقيبة الغريب من مقررات مؤتمرات القمة العربية والتى كان من اهمها أن « يحدد العرب فى المستقبل علاقاتهم بغيرهم من الدول على ضوء مواقف هذه الدول من الحق المشروع فى فلسطين » .

فعلى هدى من هذا القرار ومن الدور الطليعى للجمهورية العربية المتحدة ازاء القضايا العربية ، كشف الرئيس جمال عبد الناصر صفقة الاسلحة التى باعتها المانيا الغربية سرا — بايعاز من امريكا — لاسرائيل . وهبت عاصفة من الغضب فى سائر انحاء المنطقة العربية من المحيط الى الخليج ، وكان على الدول العربية ان تواجه بالحزم هذا التحدى الجديد الذى يشكل خطرا داهما على أمنها وسلامها ، وحريتها . واشتدت الأزمة ، ودفعت حكومة لودفيج ايرهارد فى بون — ومن ورائهـــا حكومة واشنطون — بالتحدى خطوة أخرى بالاعتراف الرسمى باسرائيل .

وهنا لم يعد أمام الدول العربية مجال للاختيار ، عليهـا أن تحدد مواقفها من ألمانيا الغربية على ضوء هـذا التطور الخطير . وفى الخفاء كانت الحرب النفسية مستعرة الأوار : تهـديدات وضغوط من جانب الدول الاستعمارية الغربية على الدول العربية .. ولكن مسائل العلاقات مع المانيا الغـربية وصـلت الى نقطة اللاعودة وفى لحظة واحدة اعلنت عشر دول عربية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة بون التزاما بالعهد والميثاق .

وهنا خرج الخـواجه بورقيبة رئيس تونس بدعوته المشئومة للصلح مع اسرائيل ؟!!

وتصفق دوائر الاستعمار والصهيونية طربا لهـذا الصوت النشاز الذى خرج من بين مائة مليون عربى بدعوته الانهزامية . وهرع بورقيبة الى بون ليقبض ثمن خيانته فى شكل بضع ملايين

من الماركات ، فى حين زددت أبواق الصهيونية أن بورقيبـة كان أول زعيم عربى يجد الشجاعة ليعلن صراحة رأيا مخـــالفا لكل الزعماء العرب ، ووصفته اذاعة صوت امريكا بأنه أول « زعيـــم عربى » بخرج برأى مخالف لرأى القاهرة . ولم تكن هـــذه الأبواق فى الواقع الا صدى للوهم المشترك بين وكالة المخابرات الأمريكية بورقيبة فى ايجاد زعامة بديلة فى العالم العربى . زعامة تتمثل فى بورقيبة تعمل فى اطار المخطط الذى وضعته واشنطون للسيطرة على العالم العربى وربطه بالأحـــلاف الأجنبية ووضعه ضمن مناطق النفوذ .

ولم يسفر هذا الوهم « عن الزعامة البديلة » بالطبع الا عن تبعية بديلة . فقد حل الاستعمار الامريكى الجديد فى تونس محل الاستعمار الفرنسى . وهو ما سنأتى الى تفصيله فيما بعد .

وموقف الخواجة بورقيبة المرتد من قضية فلسطين لا يمكن فهمه الا من خلال ربطه بموقفه من فكره الحلف الاســلامى ومن خلال مواقفه من القضايا العالمية وسياسته فى المجال الداخلى . فهى كلها مواقف مترابطة وان اختلفت مكانا وزمانا اذ انها جميعا تشكل فيما بينها ملامح الصورة البشعة : صورة الرجعية العربية التى تعتنق التبعية الدولية ومبدأ المنفعة الشخصية فى العلاقات الدولية والحكم الفردى والتسلط ، وان كان الخــواجة بورقيبة ينفرد ببعض السمات ، مثل سياسة المراحل او انصاف الحلول والقدرة الفائقة على التمثيل .

والحلف الاسلامى الذى تحمس له الخواجة بورقيبة ــ كما ذكرنا ــ لم يكن سوى فكرة امريكية اخترعها دوايت ايزنهاور كمــا سبق ان اختلق فكرة الفراغ فى الشرق الأوسط بعـــد اندحار العدوان الثلاثى عام ٩٥٦ على بورسعيد وخروج بريطانيا نهائيا

من المنطقة . كان ايزنهاور يريد أن ترث الولايات المتحدة الشرق الاوسط كمنطقة نفوذ خاصة وانه وجد حلف بغداد يتهاوى تحت وطأة المد التحررى التى خرجت من القاهرة وبغداد الثائرة وسوريا المتحررة .

وتحت اسم الدين المقدس التقى شاه ايران — اخلص اصدقاء اسرائيل فى الشرق مع فيصل السعودية ركيزة أمريكا فى الجزيرة العربية ، وخرجت الدعوة لتواجه بالسخط والاشمئزاز فى كافة العواصم العربية ..

ثم خرج بورقيبة فى اعقاب ذلك بدعوته الى الصلح مع اسرائيل . . . . وبينما الأمة العربية كلها تدينه وتعزله عن مسار نضالها .. اذا بملك السعودية « وقد انهكته بدوره الصفعات التى تلقاها حينما ذهب يدعو للحلف اللقيط » لا يجد من يزوره الا الخواجة بورقيبة رئيس تونس الذى يخفف عزلته ويجزل له العطاء

وفى الرابع والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٦ صدر فى تونس بيان مشترك عن زيارة فيصل جاء فيه أنه وبورقيبة « يؤكدان اقتناعهما بفكرة الحلف الاسلامى » وقالت وكالة رويتر يومها أن بورقيبة اكتسب خلال هذه الزيارة تأييد فيصل من موقف بورقيبة من قضية فلسطين !!.. ترابط وثيق لركائز الرجعية . وصلة أوثق بين مخطط الحلف الاستعمارى الرجعى المسمى بالاسلامى ومخطط الاستعمار والصهيونية فى أزمة المانيا الغربية مع الدول العربية واعتراف بون باسرائيل ودعوة بورقيبة للصلح مع اسرائيل بدلا من أن يقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الغربية — انه بدلا من ذلك أعلن قطع العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة واغلق سفارات تونس فى عدد من الدول العربية !!

هذه الرابطة الوثيقة بين المخططين تدل بما لا يقبل الشك على أن المحرك الخفي في كلا الحالتين واحد .

ففي مشروع الحلف الاسلامي يبين لنا أن الولايات المتحدة — وبالذات رئيسها الاسبق ايزنهاور هو صاحب الفكرة . ثم تولت وكالة المخابرات المركزيه تحريكها بواسطة العمـــلاء . وكانت الفرصة قد تهيأت بالهدوء النسبي للجو العربي على حين كان فيصل السعودية قد قطع شوطا بلغ فيه حد اليأس من ضرب الثورة التحررية في اليمن . كما كان شاه ايران — وعمـــالته للاستعمار الامريكي لا تحتاج الى بيــان — يتلفت من حــوله في حسرة يريد أن يقيم حلفا للكراهية في مواجهه الجبهة التحررية ليحل محل الحلف المركزي المتداعي .

أما في مؤامرة تسليح اسرائيل بصفقه الاســلحة السرية الالمانية . فقد فضحتهاالجمهورية العربية المتحدة بالوثائق الدامغة، إذ تمت بايعاز من الحكومة الامريكية. كما دفعت حكومة واشنطون بعد ذلك المانيا الغربية الى الاعتراف بالدولة المزعومة اسرائيل .

فكيف تكشف وجه الخيانة ؟

حتى أوائل مارس عام ٩٦٥ لم يكن أحد يعلم حقيقة « الخواجة الحبيب » رئيس تونس . أو — اذا تحرينا الدقة . لم تكن نوايا الخواجة الحقيقية وخيانته للعرب وخروجه على صفوفهم في وقت هم في أمس الحاجة الى التضامن ، قد تكشفت بعد .

بل على العكس من ذلك فان بورقيبـــة كان يدلي بتصريحات كثيرة يؤيد بها التزامه بمقررات مؤتمري القمـة العربيين الاول والثاني وكلها تهدف الى دعم صفوف العرب في مواجهة العـــدو المشترك في فلسطين المحتلة .

وكان آخر هذه التصريحات في اثناء زيارته للقاهرة في مارس عام ١٩٦٥ حيث أعلن في صوت متهدج يشوبه التأثر الشديد أنه على استعداد لارسال القوات المسلحة التونسية الى الخطوط الأمامية للاسهام في شرف المعركة الحاسمة لاستعادة فلسطين العربية .

ثم واصل بورقيبة بعد ذلك طريقه في جولة بالعواصم العربية ، وفي القدس العربية ظهرت نغمة جديدة في كلمات الخواجة ولكنه احجم عن التصريح بشيء عن نواياه ، وقال : « أنه يخشى أن يتعرض للاغتيال » ؟!

وفي بيروت بدأ بورقيبة يتحدث حديثا متناقضا حول القضية الفلسطينية .

ثم القى ببعض ما في جوفه من تصريحات تشكك في نواياه الحقيقية : وتحدث لأول مرة عما أسماه بالتعايش السلمي مع اسرائيل .

ولم تطق الصحافة صبرا على بورقيبة : فقد كان مؤتمر القمة العربي الأول قد وضع حظرا على مهاجمة « الزعماء » العرب ، ووقف حملات الاعلام ، وكانت الصحيفة التي تخرج على هذه القاعدة تتعرض للاغلاق أو الالغاء او المصادرة — عهد قطعه العرب على انفسهم لاتاحة جو من الهدوء يسمح بحرية العمل الداخلي في كل دولة عربية ، حتى تتقدم الدول العربية بعد ذلك لتحرير فلسطين ، وهي أخطر القضايا المصيرية في تاريخها المعاصر .

ولكن هاهو واحد من « هؤلاء الزعماء » الذين احتشدت بهم قاعة الاجتماعات الكبرى في جامعة الدول العربية في السادس عشر من

يناير ١٩٦٤ فى أول مؤتمر للقمة العربية يتناول بالجدية الواجبة قضية واحدة ـ فلسطين ـ واحد من «هؤلاء الزعماء» الـــذين قطعوا على أنفسهم عهدا بأن يحرروا فلسطين ، وأن يتناسوا فى سبيل ذلك تناقضاتهم ، وها هو الخواجة بورقيبة يعلن ـ كما اذاع راديو تونس فى ٢١ مايو ١٩٦٦ بالحرف الواحد :

ان رفض الدول العربية وجود دولة اسرائيلية يهودية هو موقف لايمشى مع الحق والمنطق والاخلاق ومواثيق الأمم المتحدة التى لا تجيز انتزاع قيراط او شبر أو كيلو متر مربع فى دولة هى عضو فى الأمم المتحدة ؟!!

لم يعد هناك مجال للصبر بعد ذلك وقامت قائمة الصحافة فى العالم العربى ، فى حين اجتاحت المظاهرات الشعبية المدن العربية فى كل مكان تصب اللعنات على هذا العميل الذى باع نفسه للشيطان وكفر بالمبادىء السامية وخان العهد والميثاق .. وكانت « صفقة مخزية للشعور والضمير العربى . كما وصفتها جريدة « الاهرام » العربية .

فأى (حق) وأى (منطق) وأى (أخلاق) يتحدث عنها الخواجة بورقيبة . انها دون شك اخلاق العميل ، ومنطق الاستعمار الضالع مع الصهيونية المغتصبة ، هى جميعا التى تجعله يتشدق بما اسماه « بالتعايش السلمى » بين العرب واسرائيل ودعوته للتفاوض . انه منطق الصهيونية والاستعمار التى تعمل بالتضليل على وصف القضية الفلسطينية بأنها نزاع بين العرب واليهود ، أنها ليست نزاعا .. بل هو الحق ، حق العرب فى وطنهم السليب فى مواجهة للباطل المتمثل فى الاغتصاب ، فى القتل ، فى تشريد مئات الالوف من ابناء فلسطين هائمين على وجوههم ، يجمعون صفوفهم من جديد استعدادا لاستعادة الحق المسلوب .

وانطلق بورقيبة ـ كالمحموم ـ يتخبط فى طريقه ، فلم يكتف بانه دون وجه حق جعل من نفسه متحدثا باسم العرب والعرب منه براء ، بل راح يهاجم الجمهورية العربية المتحدة لالشيء الا لأنها قالت رأيها بصراحة في موقفه الغريب .

ولقد كشف الرئيس جمال عبد الناصر السبب الحقيقى من وراء هجوم الخواجة بورقيبة الاحمق فقال فى حديث اذاعه التليفزيون الامريكى (١٢ يوليو ١٩٦٦) « ان بورقيبة يهاجمنا لانه بقدر هجومه علينا سيحصل على معونات أمريكية » .

وهكذا وضع الرئيس جمال عبد الناصر يده على أهم ما يرمي اليه بورقيبة فى عبارة واحدة ، فانقلاب بورقيبة على العرب لم تكن بدافع فلسفة او عقيدة ، ولم تكن خلافا على مبدأ ، بل كانت صفقة مخزية للشعور والضمير العربى . فبورقيبة خان الاسلام والأمة العربية ليقبض ثمن الخيانة ، وحاول أن يبيع قضية فلسطين ، وهو الذى طالما اكد أن بلاده تبعد اربعة الاف ميل عن فلسطين ، فتونس أقل تأثرا ـ على حد منطقه السقيم بما يحدث فى فلسطين وفى المشرق العربى ، ولكنه يحنث بالعهد الذى قطعه بوصفه ممثلا لتونس ليقبض ثمن الخيانة .

ولكن بورقيبة لم يكن بعد قد اخرج كل مافى جوفه من كراهية للعرب ومن ولاء للغرب وللاستعمار وللصهيونية ـ وان لم يكن ولاؤه للغرب جديدا عليه .

ففى الرابع عشر من يوليو عام ١٩٦٦ ادعى بورقيبة فى حديث اذاعه تليفزيون المانيا الغربية في بون ان تونس بحكم موقعها الجغرافي وعقيدتها وتشكيلها وثقافتها وتاريخها تتبع القارة الاوربية وتنتمى الى الغرب . . وأكد ان تونس لن تقطع علاقتها مع المانيا « الغربية » فى حالة اعتراف حكومة بون باسرائيل .

أى أن بورقيبة لم يكتف بمحاولة بيع قضية فلسطين ، بل ظل سادرا فى غيه يعقد الصفقات ، صفقة وراء صفقة : فتونس الأفريقية العربية الاسلامية تاريخيا وثقافيا ودينيا وجغرافيا ، اصبحت بين يوم وليلة ، فى منطق الخواجة « أوربية غربية » دينا وتشكيلا وتاريخا .. ويا له من منطق ؟

وكان لابد ان يفشل هذا الخائن فى خطته أو مخططه المشترك مع الاستعمار واسرائيل .. بعد أن أسقطته الشعوب العربية تماما من حسابها بعد ان تكشفت عمالته وأعلن على رؤوس الاشهاد ارتداده

وفى الوقت الذى اعترف فيه بورقيبة بفشل « خطته لتسوية مشكلة فلسطين سلميا ، وعن طريق التفاوض بين العرب واسرائيل القى ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية خطابا امتدح فيه بورقيبة قائلا : « ان احدا لا يشك فى وطنيته وعروبته »!!

والخواجة باعلانه فشل المؤامرة لم يكن بالطبع يقصد انه ندم أو على الأقل تراجع عنها ، انما أراد أن يخفف على الأقل من حدة رد الفعل الشعبى العنيف داخل تونس ، الذى استنكر تصريحاته ومقترحاته وترديده السافر للمشاريع الاستعمارية السافرة والذى شجب تنكره لعروبته .

ولكن بورقيبة لم يكن يخدع فى الواقع سوى نفسه حينما قال ان مقترحاته لم تلق قبولا لدى العرب أو اسرائيل ، لأنه كان يعلم اكثر من غيره ان اسرائيل رحبت بمقترحاته وهللت لها ، ثم عمد الصهيونيون الى تهدئة فرحتهم بخيانة بورقيبة كيلا يحرقوا هذه الورقة النادرة التى « صدعت جدار الكراهية العربية » . كما ذكروا مرارا .

والدليل على تأييد اسرائيل لبورقيبة ان ناحوم جولدمان امتدحه في خطابه مشيداً بعروبته التي لايرقى اليها الشك !!

كما ان تصريحات بورقيبة ـ كما يحاول ان يصورها تماما طبقا لتصورات الاستعمار والصهيونية ـ ليست حلا لنزاع بل هي مؤامرة ضد الحق العربي الثابت ، ولأن مابين العرب واليهود ليس نزاعا بل هو حق يواجه باطلا ، فلا يمكن ان يكون هذا « حلا وسطا » حسب رأي الخواجه ٠

وكما استنكرت الجماهير العربية خيانة بورقيبة ورفضت حتى مجرد بحث مقترحاته بوصفها طعنة لخطة العمل العربي الموحد ، ولأنها لايمكن أن تصدر عن مسئول عربي ملتزم باهداف النضال العربي ، كذلك فان الشعب التونسي برغم السجن الكبير الذي يعيش فيه بفضل النظام البوليسي البورقيبي ، قد عبر عن معارضته لخيانة بورقيبة بدليل حركة الاعتقالات الواسعة التي جرت هناك ابان عاصفة السخط الجارفة والتي شملت صفوف قادة العمال التقدميين في تونس ٠

كذلك فان الخواجة بمحاولته المكشوفة تصوير الموقف على انه رفض من العرب واسرائيل معا انما كان يقصد ابعاد شبهة التواطؤ مع الاستعمار عن نفسه ، ولكنه كان واهما ايضا هذه المرة ، لأن الجماهير العربية لم تكن يوما من الأيام من السذاجة بحيث تصدق هذه المناورة العقيمة ٠

فاسرائيل ـ كما هو معلوم ـ قاعدة استعمارية اعتدت أولا على حقوق عرب فلسطين ثم اعتدت ـ بالتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا ـ على مصر عام ١٩٥٦ ، وهي مازالت تعتدى على الشعوب العربية كلما واتتها الفرصة ، وسوف تظل هكذا قاعدة للعدوان لاشاعة

الوهن فى الكيان العربى وحتى لاتقوم للعرب قائمة . فيضمن الاستعمار دائما استغلال موارد الشعوب العربية من البترول . اذن لابد من بترها واقتلاع هذا السرطان من جذوره ، قضاء على هذا العدوان الماثل ، والذى يهدد الشعب العربى بالتمزق والتشرد .

ولكن ما الذى جعل الخواجة يتخذ هذا الموقف ، او بالأحرى بعد ان أظهرنا « حجم خيانة » بورقيبة على الصعيد العربى ، لابد ان نتساءل عن « ثمن الخيانة » وهذا هو موضوع الفصل التالى ..

ثمن الخيانة

ثمة حكمة تقول : « اصدقاؤك ثلاثة : صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك . وأعداؤك ثلاثة : عدوك وصديق عدوك وعدو صديقك»

ولقد اتبعت صحيفة « واشنطون ديلى نيوز » الامريكية هـذه الحكمة فى الخامس من يوليو ١٩٦٦ اذ انبرت تدافع عن بورقيبة فى حماس شديد ، تستمطر عليه العطف من سادته فى الغـرب وقالت : انه يعتين على قضاة جائزة نوبل الا يغفلوا ماقام بهالرئيس التونسى من نشاط فى المدة الاخيرة » !

وقالت الصحيفة الغربية وكأنها ترثى ما آل اليه حال الخواجه وقد عزلته الأمة العربية عن مسارها وتيارها « انه ليس الا صوتا صارخا فى الصحراء الآن » !

كانت الصحيفة بالفعل تعمل بهذه الحكمة حينما صـاحت تطالب بمكافأته على خيانته ، فهو بهذا أصبح يجمع فى شخصـه العداء السافر للعرب وللاسلام على حين يمنح نفسه وصداقتـه لاعداء العرب أصحاب الجريدة الامريكية .. ولكن الصحيفـة لم تكن على صواب فى ظنها ان الخواجة كان وحده فى الصحراء يرفع عقيرته بالكفر ، لم يكن بورقيبة وحده فى الحقيقة بل كانت هناك من حوله وعلى مقربة منه أكداس مكدسة من الاسلحةالامريكية و «خبراء وكالة المخابرات الامريكية » يدفعون لبورقيبة ثمـن خيانته . فماذا كان الثمن ؟

الثمن هو « حماية الخواجه العميل فى تونس من الانهيار » تحت وطأة المد التحررى فى الداخل والخارج ، عدا بضع ملايين من الدولارات فى شكل قروض مشروطة ، والنتيجة النهائية لذلك

استبدال الاستعمار الفرنسى بالاستعمار الامريكى واعادة تونس من جديد الى فلك الغرب تعمل من داخل مخططاته بالاشتراك مع الانظمة الرجعية الاخرى فى العالم العربى. الثمن يدفعه ، شعب تونس من حريته واستقلاله ، وهو الذى ضحى بمئات من جنوده الشجعان فى معارك بنزرت وساقية سيدى يوسف حتى ارغم الاستعمار الفرنسى على التخلى عن اطماعه فى هذا الجزء العزيز من الوطن العربى .

المعارضة الوطنية تكشف الاتفاق السرى :

حقا أن من قال أن الجريمة الكاملة لم توجد بعد . لم يبالغ كثيرا فمهما حاول المجرم أن يحكم التدبير والتخفى فلابد ان ينكشف أمره يوما ويفتضح . هذا هو ماحدث بالفعل حينما كشف السيد ابراهيم طوبال زعيم المعارضة الوطنية التونسية فى الخارج أمر الاتفاق السرى الذى وقعه بورقيبة مع الحكومة الامريكية فى واشنطون فى الثامن والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٦٦

وجاء فى الباب الرابع من هذا الاتفاق السرى المشئوم بالحرف الواحد : « انه فى حالة تهديد الاراضى التونسية تحت تأثير عوامل داخلية أو خارجية فان الاسطول الامريكى السادس يستجيب لنداء الحكومة التونسية .. واحتلال تونس بالقوات الامريكية للدفاع عنها »

وقضى الاتفاق البورقيبى الامريكى بانشاء قاعدتين عسكريتين هما « عين دراهم » على الحدود الشمالية التى تفصل بين تونس والجزائر (وقعصة) على الحدود الجنوبية .. وهذا بالاضافة الى دعم قاعدة « بنزرت » لايواء الاسطول السادس الأمريكى عند الضرورة .

فاذا اخذنا فى حسابنا بالاضافة الى ما سبق من ظروف ـ ان هذا الاتفاق جاءفى غمرة الازمة التى اصطنعها بورقيبةعلى الحدود بين تونس والجزائر ومطالبته بجزء من الاراضى الجزائرية لأمكننا ان نتبين بوضوح أن هذه « الازمة » نفسها لم تكن سوى مؤامرة امريكية بورقيبية لافساح المجال لتدخل الولايات المتحدة الامريكية بصورة « شرعية » . وهذه الشرعية ، المقيتة نص عليها الاتفاق بوضوح .

لكن لهذا الاتفاق الخطير فى الواقع أبعادا أخرى اكثر فداحة وأبعد اهدافا من مشكلة الحدود مع الجزائر .. لابد ان نتناولها بشىء من التحليل .

فمن ناحية بورقيبة ـ كما تبينا ـ تكفل هذه القواعدالعسكرية الامريكية الحماية اللازمة للنظام الرجعى فى تونس برغم فسادهذا النظام القائم على تحالف الاستعمار الجديد والبورجوازية والقمع ، وهو ما سنورده بالتفصيل فى الباب الثالث من هذا البحث .

ومن الناحية الاقتصادية فى تونس فان الاحتلال العسكرى الاجنبى بمساندة الرجعية الحاكمة سيكفل استمرار سيطرةرؤوس الأموال الأجنبية على الاقتصاد القومى لتونس وبالتالى القضاء نهائيا على استقلالها السياسى وربطها فى عجلة الاقتصاد الامـريكى ، عدا الهدف الاستراتيجى المتعدد الوجوه .

واذا كان الخواجة قد حاول ان يستفيد من الفرصةالتى اتاحتها مؤتمرات القمة العربية عرضا زائلا يتخم به خزائنه الخاصة فى بنوك سويسرا ، فانه فى الواقع لايملك المساومة على قضيةفلسطين لأن لفلسطين شعبا عقد العزم على استعادة أرضه ـ كما انه اذا كان قد ساوم على مقدرات شعب تونس فان بورقيبة ليس شعب تونس ، وساعة الحساب آتية لا ريب فيها .

وبون شاسع بين العمل بوحي من الاستعمار ، والعمل طبقا لسياسة عربية اسلامية تصدر عن تفاعل أصيل مع ضمير الامة العربية وآمالها وتعبر بصدق وشجاعة عن احتياجات نضالها

فرغبة الجمهورية العربية المتحدة فى توفير حرية العمل داخل حدودها كخطوة ضرورية بقيامها بواجباتها القومية ، قامت بالدعوة الى مؤتمرات القمة لتحقيق المواجهة المشتركة للتحالف الاستعمارى الصهيونى • ولم تجد الرجعية العربية بدا من قبول الأمر الواقع مؤقتا ، مع العمل على تخريبه من الداخل والحد من فاعليته. واثبت تطور الاحداث أن المصالح الاستغلالية للرجعية العربية ، وتواطؤها مع الاستعمار أقوى عندها من الوطنية ، وأقوى من القومية ، بل أقوى من حق ديننا القويم « الاسلام » الذى يمقت الفرقة ويحض على التآخى والألفة والمحبة والدفاع عن كل حق سليب حتى يعود الى صاحبه .

ولقد كان على العمل العربى الثورى ـ كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٦٦ فى افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الأمة ـ ان يتصدى بنفس الجرأة والشجاعة التى تصدى بها للدعوة الى مؤتمرات القمة لرفض عملية خداع الأمة العربية وخداع النفس ، ولوقف استغلال الرجعية العربية لهذه السياسة فى تحقيق مصالحها ، ومحاصرة العمل الثورى وشل فاعليته تحت ستار وحدة الصف ، وللحفاظ على المنجزات التى تحققت ، كانشاء منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير ، والتعاون العسكرى •

وهكذا رأى العمل العربى الثورى تأجيل مؤتمر القمة الرابع ، وعدم نسف هذه السياسة كلية ، لأن ذلك يتضمن التضحية بمنجزاتها ، وذلك مايريده الخواجة بورقيبة وأمثاله من الرجعيين ويسعى اليه •

ومن ثم فان العمل العربى الثورى قد استعاد زمام المبـــادرة وحرية تحديد زمان ومكان المعركة ، بعيدا عن أى غدر أو مخادعة ، وقد اعلنت الجمهورية العربية المتحدة أنها تتحمل مسئوليتهـــا كاملة ازاء تحرير فلسطين ، حتى لو اضطرت للعمل منفردة ، لأن تحرير فلسطين ضمان لحرية الأمة العربية ولوحدتها ، ضمـــان للقضاء على الاستعمار فى المنطقة ٠٠ وضمان قبل كل شىء لتحقيق السلام القائم عا العدل ٠

البَابُ الثّانِي

الدور الذى يناسب الخواجة بورقيبة

عطيل أم اياجو ؟!

المعروف عن الخواجة بورقيبه انه يتباهى باستمرار موهبتــه فى التمثيل ٠ يردد ذلك للصحفيين . كما يردده أمام اصدقائه ٠وقد يأخذه الحماس أحيانا فيتظاهر بالبكاء أو الضحك بصورة هستيرية ليبرهن على هذه الموهبة ، وحدث انه كان فى باريس عام ١٩٦١ فقال للرئيس شارل ديجول رئيس جمهورية فرنسا فى معـــرض التباهى بموهبته : « هل تعلم ياسيدى الجنرال أننى اجيدالتمثيل، واننى قمت بدور عطيل باتقان حينما كنت طالبا على مسرح المدرسة»؟

ورد الرئيس الفرنسى فى ابتسامة تنطوى على معـان كثيرة : « ليتك تفرغت للتمثيل على خشبة المسرح بدلا من هذا التمثيل على المسرح السياسى » !

ومضى الوقت وتوالت الأعوام وفى طياتها تجرى الأحـداث ، ومعها تهب رياح متضاربة على مسرح السياسة الدولية. ويستمر الخواجة يحلم بدور عطيل الذى مثله على مسرح المدرسة ، ولكنــه فيما نعتقد لم يتقن تماما دور عطيل ، وربما كان من الأوفق له أن يقوم بدور أياجو فى مسرحية عطيل الشكسبيرية ٠ لأن شخصيــة اياجو بما تنطوى عليه من شر وخديعة ربما كانت اشبه بالدور الذى يقوم به الخواجة على المسرح السياسى ٠ والمقارنة مفيدة دون شك :

وبالرغم من أن الخواجة بورقيبة « انتحر » سياسيا على مسرح السياسة ، تماما كما « انتحر » تمثيليا على خشبة مسرح المدرسة فى دور عطيل الا أنه على المسرح السيـــاسى يتقمص شخصيتــه تختلف اختلافا بينا عن شخصية عطيل الذى كانت نقطة ضعفه الوحيدة هى الغيرة الحمقاء التى استغلها أياجو ـ (صديقــــه

الحميم) ــ للوقيعة بينه وبين ديدمونة ، زوجته والغيرة تنبع في الواقع عن حب جارف يعمى البصيرة •

لكن اياجو يتصرف بدافع من الحقد والحسد وتنطوى نفسه على الشر ، وهي من سمات « الشخصية » التى يتقمصها سيادة الخواجة بيد أن « اياجو » بطبيعته (مستقل الشخصية) : فهوالذى يفكر ويدبر ، ثم يعمل طبقا لخطة محكمة • وهـذا لا يتوافر لبورقيبة ، لانه يقوم على المسرح السياسى بدور « ثانوى »: فهو لايفكر لنفسه ،وان اشترك فى التدبير ولايعمل طبقا لخطة يضعها هو وانما « ينفذ » ما يملى عليه من غيره • و«غيره » فى هذه الحالة قد يكون حكومة المانيا الغربية ، أو فرنسا ، أو وكالة المخابرات الامريكية ــ حسب مقتضيات الحال ، وتقلبات « الاسعار فى البورصة السياسية »

وأغلب الظن ان الرئيس الفرنسى ديجول كان « جادا » فى تمنيه لو أن بورقيبة تفرغ للتمثيل على خشبة المسرح ، حيث كان ينتظره مستقبل افضل و « أدوار » أكبر من مجرد «دور» التابع والعميل المتواطىء • وكان من الممكن ان (يمتع) بورقيبة مشاهديه كلما (أتقن) الدور واندمج فيه حتى ولو كان الدور يتطلب الانتحار لأن المتعة فى هذه الحالة تنبع من الاحساس بأن التمثيل واقعى ، على حين لايسفر عن نتائج ضارة بالمشاهد أو بالممثل أو بالمجتمع !

لكن الخواجة اختار « دوره » على أى حال ــ أو اختير له الدور الصغير الذى يناسبه ، وهو يقوم به كل يوم ولا يعدم من يصفق له من الرجعية والانتهازية ، واصحاب المصالح الاستعمارية فيزداد حماسة ، فيعيد ويزيد طلبا للمزيد من التشجيع ومن المكافأة •

وقد قام الخواجه العميل بدوره المقيت على الصعيد العربى ، وانتهى ، ويقوم بالدور نفسه فى أفريقيا ، وهو فى طريقه للانتهاء

البَابُ الثَّالِثُ

تونس ٠٠ ونظام الحكم البورقيبى

سياسة الهرم المقلوب ٠

قد يتساءل القارىء اذ يقلب هذه الصفحات : اذا كان الكلام عن الخواجة بورقيبة وهو رئيس تونس ، فلماذا لاتكون البداية في البحث هي تونس نفسها ، شعب تونس ، أو السياسة الداخلية لحكومة الخواجة ؟ والقارىء محق تماما فى تساؤله ، ومنطقى مع ماجرى عليه الحال فى غالبية الأنظمة السياسية . ولقد تساءلت أنا أو بالأحرى قفزت أمامى قبل أن أبدأ هذا البحث بعض علامات الاستفهام ، من أين أبدأ ؟ هل أبدأ بسياسته الداخليه ، ثم اتتبع خطوط هذه السياسة على الصعيد الخارجى عربيا وافريقيا وعالميا ؟ ثم انتهيت من خلال هذه التساؤلات الى ان سياسة الخواجة العميل لاتنبع من داخل تونس ولا تعبر عن واقع شعبها ، بل هى سياسة مستوردة : مثلها مثل أى سياسة رجعية أخرى فى العالم العربى .

ومن ثم فان الدراسة لابد ان تبدأ من الخارج ومن خلال المواقف التى أسقطت القناع ، فانكشف الخواجة بورقيبة على حقيقته البشعة .

ففى الدول التى تتمتع بالاستقلال السياسى السليم ، تضع كل حكومة سياستها الداخلية طبقا لمعايير دقيقة تستمدها من واقعها التاريخى والجغرافى وامكانياتها الاقتصادية والحضارية والثقافية وآمال الشعب وتطلعاته . ثم تأتى بعد ذلك السياسة الخارجية التى توضع ـ عادة ـ على أساس السياسة الداخلية وبحيث تراعى فيها ظروف الموقف الدولى والاتجاهات السياسة ، وتحدد الدولة مواقفها من المنظمات والهيئات الدولية والمشكلات . وكل هذا طبقا لخطة عامة تضعها الحكومة وتقرها السلطة التشريعية التى تنوب عن الشعب وهذا هو التسلسل الهرمى أو المنطقى للتخطيط السياسى

أما سياسة الخواجة فهى سياسة العمالة والتبعية والهرم المقلوب وكل ما يحدث فى تونس اليوم من كبت للحريات ، وتحد سافر لرغبات الشعب ، وقمع وتنكيل لكل انتفاضة تحررية تهـدف الى التخلص من الحكم الاستبدادى وبيروقراطية البورجوازية ، انما هو نتيجة حتمية لحكم الخواجة بورقيبة خلال السنوات العشر الماضية ۰ وكل حركة تحررية وطنية لاتتبعها ثورة اجتماعية لابدأن تنتهى من حيث بدأت ويصبح الاستقلال السياسى خرافة أواسطورة، وهذا ما حدث فى تونس ۰

تونس تحت الحكم البورقيبى :

ونعود الى الوراء لنلقى نظرة على تونس خلال الفترة التى بدأت بمنح الاستقلال الذاتى لتونس فى ظل الاستعمار الفرنسى ۰ فخـلال الصراع المسلح للتحرر الوطنى الذى خاضته جماهـير الشعب التونسى خشى الاستعمار الفرنسى نمو الحركة ووصولها الى مداها ، بحيث تدمر جميع مصالحة فى تونس ، وان تحقق تلاحما بين الحركة الثورية لشعوب شمال افريقيا ــ وخاصة الشعب الجزائرى الذى كان قد بدأ بالفعل نضاله البطولى ضد الاستعمار الفرنسى ــ فلجأ الى اسلوبه التقليدى بمنح الحكم الذاتى فى يونيـو ١٩٥٥ ، بالتعاون مع بعض العناصر التى قبلت العمل لحماية مصالحه عـلى ان تكون الشريك الأصغر فى جريمة استمرار نهب الشعب التونسى ولكن جماهير الشعب لم ترضى انصاف الحلول هذه ورفضـت سياسة « خذ وطالب » الانتهازية الاستسلامية وأبت تصفـية الحركة الثورية المسلحة وخيانة المصالح الحقيقية للشعب التونسى وطعن قضايا الشعوب الشقيقة فى المغرب العربى وافريقيا ۰

وعلى هذا النحو حدث الانقسام فى الحركة الوطنية المتمثـلة انذاك فى الحزب الدستورى التونسى ، واستنكر الجناح الثورى

فى الحزب هذه المؤامرة الاستعمارية ، وطالب باستمرار النضال المسلح حتى تتحقق اهداف البلاد كاملة · وبالفعل قاد الضغط الشعبى حتى أجبر فرنسا على منح مزيد من الاستقلال لتونس فى مارس عام ١٩٥٦ ، ثم مالبس أن بدأ الخواجة بورقيبة فى التخلص من الحركة الثورية عنطريقا لارهاب ، وبالطبع وجد كل عون فى القوات الفرنسية التى كانت تحتل تونس حينئذ · وبدأ فى اقامة نظام يتمشى واتجاهاته ، نظام يقوم على عبادة الفرد ، ووضع فى سبيل ذلك كافة مقدرات البلاد فى يده ومن حوله حفنة قليلة من المنتفعين والوصوليين ·

اسلوب الاغتيال السياسى :

ولجأ بور قيبة الى اسلوب الاغتيال السياسى لتصفية المعارضة نهائيا واسكات كل صوت يرتفع « بالحرية » أو يعبر عن ارادة الجماهير ·

ففى عام ١٩٦١ دبر بورقيبة اغتيال صالح بن يوسف زعيم الجناح الثورى والأمين العام لحزب الدستور التونسى فى فرانكفورت ، بعد ان فصله من الحزب فى المؤتمر الذى عقده فى صفاقس عام ١٩٥٥ ، وفى عام ١٩٥٦ على أحمد بن صالح سكرتير عام اتحاد نقابات العمال عندما أعلن رغبته فى انشاء حزب اشتراكى معارض ، فقام الحزب الدستورى بتكوين اتحاد عمالى مناوىء للاتحاد الذى يتزعمه أحمد بن صالح . فلما اهتز مركزه وانسحب من الميدان تحت الضغط عاد الحزب الدستورى وقام بحملة ضد الصحف التى تعارضسياسته فأغلق صحيفة «لاكسيون» (العمل) عام ١٩٥٨ ، وفى عام ١٩٦١ طرد المصمودى نتيجة نقده نظم الحكم الفردية فى الباب الاسبوعى من صحيفة(لاكسيون أفريك العمل الافريقى) التى كان يديرها ·

المعارضة الوطنية تفضح الخواجة بورقيبة

وبالرغم من الغموض الشديد الذى فرضه بورقيبة على تونس ومنع اذاعة انباء حقيقية عن سياسته الداخلية ، فقد نشر السيد ابراهيم طوبال زعيم المعارضة التونسية فى الخارج فى شهر يونيو الماضى بيانا كشف فيه عن كثير من المخازى التى يرتكبها الحكم البورقيبى فى تونس • وكان البيان بمناسبة مرور عشر سنوات على حكم بورقيبة

وقد اكدت المعارضة فى بيانها ان بورقيبة اعدم ٢٨ وطنيا عام ١٩٥٧ و١٢ وطنيا عام ٥٨-١٩٥٩ وفى عام ١٩٦٢ قتل ١٢ وطنيا ، فضلا عن مئات الوطنيين الذين زج بهم فى السجون

واخيرا - وليس آخرا - اعتقل زبانية بورقيبة ٨٢ ضابطا تونسيا عارضوا الاتفاق السرى مع أمريكا بتهمة التآمر !

وفى المجال العمالى ، لجأ بورقيبة الى اضعاف وحدة الطبقة العاملة لمنعها من القيام بدورها الطبيعى ، وخلق فئة عمالية فرنسية جعلها فى قيادة الطبقة العاملة ، وحل المنظمات الشعبية والطلابية، وأحل محلها هياكل كرتونية تدين لشخصه بالولاء •

وبالرغم من ارتباط النظام البورقيبى - كما تبينا - بالامبريالية اقتصاديا وسياسيا ، فانه يلجأ - حينما تتأزم الأمور - الى المناورة والتلون والالتفاف بقصد الخديعة والمراوغة

وقد حدث ازاء الضغط الداخلى والخارجى ، أن أثار بورقيبة مشكلة بنزرت دون ان يتخذ الاحتياطات الكافية والتخطيط السليم لها ، مما أدى الى استشهاد ١١٤٠٠ تونسى (الاحصائيات وردت ببيان المعارضة) برصاص الفرنسيين. وفى تلك الفترة ايضا

تقارب مع الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز وهى الحليف الطبيعى والسند الحقيقى لشعب تونس . وقد سارعت هذه الدول بمساندته دون قيد أو شرط . ولكن بورقيبة هو بورقيبة ، فلم يلبث ان عاد سيرته الأولى . وتلمس سبل المهادنة ، وارتمى من جديد تحت أقدام الامبريالية .

ظروف العمل الوطنى فى تونس :

وفى ظل هذه الظروف البالغة القسوة ، فى ظل الحكومة البوليسية ، تناضل جماهير الشعب التونسى ببسالة لتغيير واقعها المرير ، ولوقف التدهور المستمر فى ظروف معيشتها . وقد تحمل الشعب التونسى فى سبيل ذلك تضحيات جسيمة تحمل تضحيات لاحدود لها للتخلص من الاستعمار بوصفه أبشع أنواع الاستغلال الرأسمالى ولتخليص ثروات البلاد لأبنائه ، وليعود اليهم ناتج عملهم مما يسمح لهم بحياة انسانية لائقة .

بيد أن الاستقلال السياسى لم يعقبه تحول اجتماعى لصالح الشعب ، بل استأثرت قلة قليلة بخيرات وثروات البلاد وبدأت تفرض سيطرتها السياسية والاقتصادية والفكرية مستخدمة فى سبيل ذلك أبشع الاساليب .

والاستقلال السياسى بلا ثورة اجتماعية لايساوى شيئا . واستطاع الاستعمار الجديد أن يضم تونس الى امبراطوريته الخفية .

وتقول الاحصائيات التى اعلنتها المعارضة الوطنية فى الخارج : فى عام ١٩٦٥/٦٤ المالى تدفق ١٨٠ مليون دولار فى الولايات المتحدة الى تونس ، فسيطرت على أهم مراكز الاقتصاد . وهذا بخلاف

استثمارات المانيا الغربية وفرنسا وسائر دول الغرب التى فتح لها بورقيبة الباب على مصراعيه

وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى :

١ ــ اتباع اسلوب التنمية الرأسمالية وتشجيع المشروعات الفردية الخاصة وانشاء صناعات استهلاكية دون الصناعات التى تساعد على بناء الهيكل الاقتصادى للدولة وهو اساس الاستقلال السياسى ·

٢ ــ تركزت الثروة ومصادر الدخل القومى فى يد حفنة من البورجوازيين ، شكلت بدورها ضغطا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا على الطبقات الكادحة مما زاد فى فقرها وفاقتها ·

٣ ــ ازدادت حدة الصراع الطبقى عنفا وضراوة ·

وفى المجال الخارجي تؤدى هذه السياسة ــ كما ذكرنا ــ الى الابقاء على تونس فى موقع التابع فى فلك الاستعمار ، وتظل سوقا مفتوحة تنهبها الاحتكارات الرأسمالية بفضل مالها من امكانيات ضخمة وارتباط سياسة تونس بالسياسة الاستعمارية وفقدانها كل استقلال أو شخصية فى المجال الدولى

ويزداد الموقف فى تونس سوءا يوما بعد يوم ، تتعرض لأخطار كارثة قومية شاملة بسبب عوامل التدهور والتفكك التى اسفرت عنها سياسة بورقيبة

حقيقة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ·

أولا : قطاع الزراعة :

يعمل ٧٥٪ من السكان (حوالى ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة) بالزراعة

والأرض التى تزرع فعلا حوالى ٤ مليون هكتار (٨ مليون فدان) موزعة على النحو التالى :

* الملكية الخاصة شرائح كبيرة تصل الى مليون هكتار ٢٥٪ من الارض المزروعة . وهى قرب الساحل فى المنطقة الخصبة

* ملكية القبيلة حوالى مليون ايضا فى أرض قليلة الخصـــوبة ضعيفة الانتاج

* أرض الوقف : نسبة ضئيلة منها للاعمال الخيرية ومعظمها للأقارب ، وهذه ايضا تصل الى مليون هكتار .

وفى عهد الاحتلال الفرنسى وصلت ملكية الاوربيين الى ٨٠٠ الف هكتار عملوا على زراعتها بمحاصيل تجارية ، طبقا لنظام العمل الدولى الذى يخلفه الاستعمار ، ويؤدى الى ايجاد مراكز تتخصص فى انتاج المواد الخام فى المستعمرات ، لمد المراكز الصناعية فى الخارج باحتياجاتها .

ولم يتغير هذا الوضع بعد الاستقلال .

فبعد الاستقلال الذى حققه الشعب بالدماء خلال معـــارك عنيفة اشتبك فيها صغار الفلاحين فى الجبال والقرى مع الجنود الفرنسيين المسلحين بأحدث الاسلحة واشدها فتكا ، اتبعت حكومة بورقيبة سياسة تؤدى الى استمرار الملكيات الكبيرة الخاصة وهو النظام الاقطاعى :

ويصل مايمتلكه الاقطاعيون فى تونس الان الى ٧٠٪ من مجموع المساحة المزروعة . وهؤلاء الملاك الكبار لايزيد عددهم عن ٢٪ من مجموع الملاك ومعدل ملكية الواحد منهم ١٢٠ هكتار ، على حين

تقل ملكية ٩٨٪ من صغار الفلاحين عن ٥ هكتارات · وقد حدث ان اتفقت حكومة بورقيبة فى العام الماضى على نقل ١٥٠ الف هكتار من ايدى الفرنسيين الى التونسيين ولكنها ذهبت الى كبار الملاك اما بالشراء المباشر من الفرنسيين أو بايجار اسمى من الحكومة !!

ومستوى المعيشة فى ريف تونس هو الكفاف بعينه ، بل لعله أدنى مستوى معيشة فى العالم ، ولايزيد دخل الفرد سنويا عن ١٧ دولار ، فى حين كان بورقيبة يمنيهم بزيادة هذا الدخل الى ٥٠ دولار

ومن ناحية اخرى فإن التوازن منعدم فى حيث كثافة السكان والرقعة الزراعية ، فالأرض فى الشمال جيدة الرى وافرة المحصول، بينما يعانى سكان الوسط والجنوب نقصا فى كافة الخدمات اللازمة لزراعتهم ، ولم تفعل الحكومة شيئا لاصلاح هذه الأوضاع الموروثة عن السيطرة الاستعمارية

والبطالة متفشية فى ريف تونس : وقد يعمل ٧٠٪ من العمال الزراعيين خمسة أشهر كل عام ويتعطلون سبعة أشهر · وتظل حوالى ٢٠٠ الف حالة فى تعطل دائم

وليس فى تونس اصلاح زراعى بالمعنى المفهوم ·· وتلح جماهير الشعب فى مطالبتها يوما بعد يوم من اجل اصلاح زراعى حقيقى وتحديد ملكية الاقطاعيين ، واستصلاح الأراضى البور ، وقيام حركة تعاونية لاصلاح الاوضاع المتناقضة ، التى أدت الى سيطرة المستعمرين وبعدهم الاحتكاريين التونسيين على الاراضى وللقضاء على استغلال الانسان للانسان ولخلق ظروف ملائمة للتطور الصناعى فى تونس وللقضاء على حدة البطالة ، ووقف عملية نهب الريف بواسطة البورجوازية الغنية فى الريف والمدينة ·

غير ان حكم بورقيبة يقوم بمساعدة هذه الطبقة التى تشكل

القوة الحقيقية المتحكمة فى المجتمع التونسى ، وتزداد ثراء بمرور الوقت بفضل التسهيلات التى تقدمها لها الدولة على سبيل المحاباة والزلفى .

ثانيا : القطاع الصناعى :

ظلت تونس تحت الاستعمار الفرنسى نحو مائة عام ، دون أن تشهد أى تطور صناعى حقيقى واكتفى بقيام صناعات استخراجية للمواد الخام معتمدا فى ذلك على القوة المسلحة وسيطرته على اجهزة الدولةوكانت المواد الخام(زراعية أو تعدينية) تصدر الى الخارج بأسعار رمزية .

وقد نمت فى ظل هذه المتناقضات طليقة بورجوازية فى المدن وبين صفوف المزارعين ، استطاعت بما توفر لها من امكانيات ان تقود النضال الوطنى فى احدى مراحله ، وسهل لها ذلك عدم وجود طبقة عاملة قوية منظمة فى حزب سياسى يملك نظرية ثورية تنبع من الواقع التاريخى لشعب تونسى .

وبعد الاستقلال مكن بورقيبة لهذه الطبقة البورجوازية لكى تعمل على تقوية قاعدتها الاقتصادية وقد جاءت هذه الخطوة طبقا لمخطط مدبر باحكام .

فهذه الطبقة تتكون فى مجموعها من عناصر انتهازية قبلت العمل بقيادة بورقيبة لحماية مصالحها الذاتية ومصالح الاستعمار الجديد على أن تكون الشريك الأصغر فى جريمة استمرار نهب الشعب التونسى .

ويقول الصحفى الفرنسى المعروف روجيه ستيفان يصف حكم بورقيبة :

« والنظام التونسى مزيج من انظمة مختلفة لايمكن وصفها الا بانها يناقض بعضها بعضا فهو نظام دكتاتورى ، وان كان يجمع بين رئيس دولة وحكومة وجمعية دستورية والحقيقة ان الذى يحكم هو رئيس الدولة وحده ، ولايجرؤ أى وزير على أن يتخذ قرارا مهما دون استشارته ، وكل شىء يتم كما لو كان الرئيس بورقيبة يقوم بهمام جميع الوزارات كأن الوزراء ليسوا الا مشرفين على وزارتهم !!

حتى بورقيبة يرفع شعارات

واذا عجز الحكم البورقيبى البورجوازى عن تحقيق تنمية جدية أمام الصعوبات التى تعترضها وأمام الضغط الشعبى ، وجاذبية الفكر الاشتراكى ومع المثل الخلاق الذى ضربته المنجزات العظيمة للثورة الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة والجزائر – وفى ابان أزمة بنزرت ، رفع بورقيبة شعار التخطيط لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات .

ولكن بورقيبة فشل ، وهذا أمر حتمى لانه يعتمد أساسا على التمويل الاجنبى ، وليس أدل على فشله الذريع من ان الزيادة فى عدد الوظائف سنويا لم تزد عن ٣٨٠ فرصة عمل ، على حين كانت الخطة تقضى بتوفير ٢٩ الف فرصة عمل سنويا

ثم يرفع واجهة اشتراكية ؟!

وبعد الفشل الذريع الذى منيت به حكومة بورقيبة فى تحقيق اى نتائج اقتصادية او اجتماعية فعالة ، ومن ثم كثر الحديث عن الاشتراكية بدأ الخواجة فى الحديث عن اشتراكية من نوع جديد ، الاشتراكية تلتقى فيها مصالح الرأسماليين والعمال وكبار الملاك والفلاحين ، والاستعمار الجديد وجماهير الشعب التونسى .وهكذا خرج بما اسماه « باشتراكية دستورية بورقيبية تطويرية »

وبالطبع سرعان ما افتضحت هذه الاشتراكية المزيفة ، كما افتضحت من قبل مواقف بورقيبة المخزية ـ التي تستهدف اخفاء الصراع الطبقي وتمييعه وصرف الجماهير عن الحل الحقيقي الجذري وهو طريق البناء الاشتراكي ، وتأميم مصادر الانتاج والتجارة الخارجية والقضاء على سيطرة الاستعمار على الاقتصاد القومي لتونس

ان افكار منتصف الطريق البورقيبية ـ كما يؤكد السيد ابراهيم طوبال زعيم المعارضة الوطنية في الخارج ـ لاتقدم حلا ولا يمكن ان يتحقق الحل النهائي الحاسم لمشاكل تونس الا بالاشتراكية السليمة التي تستهدف رد مقدرات الشعب اليه بالملكية العامة لوسائل الانتاج وقيام تحالف قوى يضم العمال والفلاحين وقوى الشعب الكادح ، يتولى تخطيط مصيره ، متعاونا في ذلك مع البلاد الاشتراكية الحقيقية وبلاد عدم الانحياز المناضلة ، فهؤلاء هم الحليف الوحيد والطبيعي للشعب التونسي ، ويعمل على بناء تونس مستقلة سياسيا واقتصاديا ٠

وهذا هو الحل الوحيد الذى يكفل قيام دولة تعبر سياستها الداخلية عن آمال شعبها وتطلعاته على اساس من ظروفه التاريخية والاقتصادية والحضارية والثقافية ٠ وبالتالى تقوم سياستها الخارجية تعبيرا عن سياستها الداخلية ، هذا هو الحل الذى يجعل الهرم المقلوب يتخذ وضعه الطبيعي المستقر ٠

البابُ الخامِسُ

نظام العهد البورقيبى

وعوامل انهياره

الشعوب لاتغلب . هذه حقيقة تاريخية ثبتت على الدهر ، وما زالت الأيام تأتى بالبرهان تلو البرهان على أن إرادة الشعوب فوق كل ارادة ، وأنها دائما تثأر لكرامتها ، وتمحو الطغاة ، مهما كانت قوتهم ، ومهما كان من سطوة الاستعمار الذى يحتمون به .

ولكن الخواجة بورقيبة قد نسى ـ فيما يبدو ـ ماحل بعبد الكريم قاسم ونورى السعيد وغيرهما لما أقدموا عليه من أعمال باطلة فى حق شعوبهم وفى حق الأمة العربية ، وكيف لاقوا حتفهم المشين ..

فبعد أن ضل السبيل وخان عروبته ، وخرج على اجماع العرب والمسلمين فى أخطر قضاياهم المصيرية ـ فلسطين السليبة ـ وبعد ماظهر وما افتضح من مخازيه فى العمالة والارتباط بالامبريالية الامريكية ، والتحدث باسم الغرب متحمسا فى ذلة مقيتة طلبا لعرض زائل ، بعد كل ذلك ـ وما هو أكثر من ذلك ـ بدأ الخواجة يفكر فى توريث منصب الرئاسة فى تونس لابنه وربيب المخابرات الامريكية ـ الخواجة الصغير وزير الخارجية .

والعميل الصهيونى الاستعمارى اذ يفعل ذلك فانه قد وصل فى هوسه بالسلطان حدا جعله يتوهم أنه ملك تونسى وليس رئيسا للجمهورية !

ومن المفارقات الغريبة أن العوامل التى يحسبها بورقيبة من دعائم حكمه وضمانات خلوده هى فى الواقع أهم عوامل الانهيار التى سوف يودى به الى الهاوية .

ونلخص العوامل التى يتوهمها بورقيبة فى صفه ، وهى فى الواقع ضده : فيما يلى :

١ ـ التصفيات التى أجراها بورقيبة وجهازه البوليسى الارهابى فى صفوف حزب الدستور الجديد لاسكات صوت المعارضة الى الأبد، والاسلوب الدموى ، اسلوب الاغتيالات السياسية والاعتقالات بالجملة دون محاكمة ، أو باختلاق التهم الباطلة ، والتنكيل بالابرياء من ابناء الشعب التونسى ، كل هذا جعل بورقيبة يتصور أنه قد خلا له الجو هو وحفنة البورجوازيين الأبرياء الذين وضعهم فى مواقع المسئولية فى الادارة والحزب . ولكن هذا الاسلوب فى الواقع جعل الشعب التونسى المكافح يكتشف حقيقة « المجاهد الأكبر » الذى انخدع به وبشعاراته فى لحظة من لحظات التأزم التاريخية ، حينما كان شعب تونس يناضل بشجاعة وصلابة لطرد المستعمر الفرنسى .

فبالرغم من أعمال القمع والتنكيل وكبت الحريات ، بدأت المعارضة الوطنية التونسية ، التى كانت تمثل الجناح الثورى فى حزب الدستور ، تنظم صفوفها من جديد ، ومن ورائها الشعب التونسى بأسره ، استعدادا للخطة الحاسمة التى يسقط فيها الطاغية العميل ويثأر لكرامته ..

٢ ـ كذلك توهم بورقيبة ، وهو كثير التوهم ، أن ارتباطه مع الولايات المتحدة والغرب باتفاقيات القواعد العسكرية وواجهات القروض الزائفة سيوفر له « درعا » تحميه من ثورة الشعب . وقد نسى بورقيبة مرة أخرى أن شعب تونس لم ترهبه جحافل الجيوش الفرنسية فهب يتلقى الرصاص فى الصدور ، وسالت الدماء انهارا فى ساقية سيدى يوسف وبنزرت وغيرهما من معارك الكفاح الشعبى ، ولم ييأس الشعب الأعزل من السلاح ، لأن ارادة

الشعوب لاتغلب ، والذى يئس بالفعل هو الاستعمار الفرنسى ٠ ان هذا الشعب الباسل الذى يواجه الارهاب البورقيبى الآن ، لن ترهبه القوات الامريكية ، ولا وكالة المخابرات المـركزية التى تحرك بين أصابعها الآن الحكومة العميلة فى تونس ٠

٣ ـ ظن الخواجة ـ وكل ظنونه آثام ـ أنه بمحاولاته المتكررة « فرنسة » تونس أو « أمركتها » ، أو التشدق بأنها تنتمى الى أوربا « تاريخا » وثقافة ، و « عقيدة » ٠٠ و « لغة » يستطيع خـــداع الشعب التونسى العربى ، وسحبه بعيدا عن أمته العربية الاسلامية وقوميته العربية ٠ انه غارق فى الوهم ، وأى واهم هذا الخواجة!

فشعب تونس يشهد التاريخ بعروبته ومواقفه البطولية ذودا عن كرامته وحياضه ٠ ثقافته عربية وقوميته عربية ، وبورقيبة انما يتسير ـ فى الواقع ـ الى حقيقته هو ـ فهو الذى نشأ فرنسيا بطبيعته ، تبرأ من دينه ، وتبرأ منه الدين ٠٠ ويأتى بورقيبة ليكمل دور الاستعمار الفرنسى الذى فرض اللغة الفرنسية فى التعليم ، وكان الهدف بالطبع هو « فرنســـــة » تونس ، وانتزاع عروبتها واسلامها ٠

وصدق من قال : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » . ففى الوقت الذى يدعو فيه بورقيبه للحلف الاستعمارى (الطبعة الجديدة من حلف بغداد) تحت شعار الحلف الاسلامى ، فهو ينصب نفسه مفتيا للاسلام والمسلمين ، ويبيح الافطار فى رمضان ٠٠ ويعود فيصدر أمرا بعدم استعمال التقويم الهجرى فى معاملات الدولة ٠

ان « الخواجة بورقيبة » قد نسى أن شـــعب تونس ليس كله (خواجات) ، وأن هذا الشعب صمد أكثر من مائة عام فى وجه فرنسا ومحاولات الفرنسة ، حتى عجزت وركعت أمام كتاب الله

الكريم الذى حفظ لتونس طابعها وعزتها وحررها من فرنسا بعد أن خيل للاستعمار أنه قضى على جذور الاسلام والعروبة فيها ٠

ان بورقيبه سوف يتحطم على عتبة الاسلام . فقد عجز الاستعمار وجبروته عن ازالة معالم الدين الحنيف ، وقد قال اللورد كرومر يائسا : « ان استعمار العرب مستحيل مادام القرآن فى حيـــز الوجود » ٠ وليس عميل الاستعمار بأقوى من الاستعمار . وقد رأينا كيف انهزم المستعمرون وخرجوا من كل قطر عربى اسلامى ٠٠ وسوف نرى كيف يكون مصير العملاء المارقين عن الاسلام ، الخارجين عن تعاليمه وشريعته وتقاليده المقدسة ٠

وليس بغريب أن يناهض بورقيبة الاسلام يرحب منضما ومشجعا الحلف الاسلامى ٠٠ وهو لا أسلامى : لأن الخواجة بورقيبة ينتمى الى طائفة لا اسلاميه ، هى طائفه « الدونمة » اليهودية ، التى ينتحل أهلها دين الاسلام ويتظاهرون باعتناقه ليندســـوا بين صفوف المسلمين . فيسهل عليهم نفث سمومهم ومساعدة الاستعمار والصهيونية الدوليه ، تحت ستار استغلالهم لاسماء المسلمين ٠

٤ ــ والعامل الرابع من عوامل الانهيار الوشيك لحكم بورقيبه فى تونس هو هذا النمط الشاذ من الاشتراكية التى أطلق عليهـــا « الاشتراكية الدستورية التطورية »٠٠ بعد أن فشلت حكومته فى تحقيق أى تقدم اقتصادى أو اجتماعى ٠٠ فهى كما يقول بورقيبة « اشتراكية من نوع جديد . تلتقى فيها مصالح الرأسمالية والعمال وكبار الملاك والفلاحين » أى اشتراكية يتمثل فيها الاســـتعمار الجديد وجماهير الشعب التونسى ٠ فكيف يلتقيـــان . وهما ضدان !

ان الشعب التونسى لم يقبل بالطبع هذه الاشتراكية الزائفة

التى لاتستند على أساس علمى ، وانما فرضـــــها بورقيبة ليخفى الصراع الطبقى العنيف فى تونس ، وليصرف أذهان الجماهير عن الحلول الحقيقية ..

واذا كان بورقيبة قد اختار التبعيـــه الامريكية والربط بعجلة الاستعمار الامريكى قمة الرأسمالية العالمية ، فكيف يتفق ذلك مع الاشتراكية . ولكن لا غرابة ، فهى اشتراكية بورقيبية .

د ـ والعامل الخامس من هذه العوامل هو فى واقع الامر خارج عن تصورات بورقيبة وأوهامه ، وان كان ماثلا أمامه يؤرقه ويقض مضجعه ، الا وهو المثل الخلاق الذى ضربته الثورة الاشـــــتراكية والاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة . وفى الجـــــزائر ، ووقوف القوى التقدمية فى العالم العربى صفا متماســـــكا فى قوة وتصميم لضرب الرجعية . والقضاء على ركائز الاســــــتعمار فى المنطقة .

ومهما حاول بورقيبه احتلاق المنازعات على حدود الجـــــزائر . والاستعانة بالقواعد الامريكية فى عين دراهم » وبنــــــزرت وبالاسطول السادس الأمريكى لتهديد الثورة الجزائرية ، وصرفهـا عن عملية البناء . فان الشعب الجزائرى مستمر فى بناء الاشتراكية على أرضه التى رواها بدمائه . والشعب التونسى يرقب . ويترقب : بفهم مايجرى داخل تونس . ومايجرى خلف الحدود . ويقــــارن ويستخلص النتائج . ويرى الفارق المروع . يرى الاشـــــتراكية نزدهر فى العالم العربى خارج حدوده . ويعيش فى الحضيض الذى آل اليه حاله فى ظل السياسة البورقيبية الرجعية .

٦ ـ الشعب التونسى برقب ، وينتظر اللحظة الحاسمة . وظهرت بالفعل البوادر الاخيرة .. بداية النهاية . ولقد خرجت من تونس

أنباء تفيد أن المنشـــــورات السرية وزعت في كل مكان تحض الشعب على الثورة وغسل العار الذى لحق بتونس وجعلهـــــــا تتخلف عن الركب العربى الزاحف نحو المعـــــركة الحاسمة فى فلسطين ٠

وقام بورقيبة بتصفيات جديدة ، وكانت هذه المرة فى صفوف العمال والنقابات العمالية ، واعتقل الحبيب عاشور سكرتير الاتحاد التونسى للشغل (اتحاد العمال) بتهمة توزيع المنشورات السرية ٠

ولكن هذه المنشورات التعسفية لن تفت من عضـــــــد الشعب التونسى المناضل ٠

فقد تشكلت بالفعل حركة من التونسيين الاحـــرار بعد أن نظمت المعارضة صفوفها من جديد بحيث تتمكن من العمـــــل على اسقاط بورقيبة ٠ وتعمل هذه الحركة من داخل تونس (بصفة سرية مؤقتا) ومن الخارج ٠ كما أصدر الطلبة التونسيون الاحرار فى باريس مجلة بالفرنسية اسمها برسبكتف « الأبعاد » للرد على مجلة بورقيبة الصهيونية « جان أفريك » ٠

ولقد ساعد على ازدياد السخط ضــــــد بورقيبة الوثائق التى اكتشفتها المعارضـــة الوطنية فى الخارج والتى تدينــه فى مؤامرة اغتيال صالح بن يوسف ٠٠ فضلا عن كشف القواعد الامريكية فى تونس ٠٠ مما جعل نشاط المعارضة يكتسب تأييــــدا جماهيريا ضخما ٠

ماذا فعل « الخواجة » ازاء ذلك ؟٠٠ لقد تفتق ذهنه المكدود عن حل سطحى ، وما اكثر حلوله السطحية ! أصدر توجيهات الى الديوان السياسى لحزبه ، بعدم الاشارة الى المعارضة التونسية ،

فى اجتماعات الحزب ، أو فى صحفه ، على أن ينسب كل عمل ضده أيا كان مصدره الى الجمهورية العربية المتحدة !

ولكن الموقف يتدهور باستمرار ، والمنشورات توزع على نطاق واسع فى شوارع تونس . وارتفعت أصوات الحق تندد بالحكم العميل ، ارتفعت فى اذاعات فلسطين ، وصوت العرب ، ودمشق ... ارتفعت فى كل منطقة تجمع جماهيرى فى تونس .

وأحس الديوان السياسى لحزب بورقيبه ، بالخطر المحدق ، بعد أن أبلغه نواب منطقة الجنوب ، انهم فقدوا السيطرة على الجماهير .

وبعد مناقشات ، قرر بورقيبه بعد تردد أن يقوم بجولة فى الجنوب ، ولكنه ما لبث عن ان قطع الجولة عائدا الى مدينةتونس العاصمة على طائرة « هليكوبتر » بعد أن أبلغه رجال الأمن بأنهم تلقوا معلومات عن وجود (اشخاص) يتعقبونه لاغتياله فى مدينة « جردان » . عاد بورقيبه ، ثم أمر باصدار بيان الى الشعب ، يعلن فيه أنه اضطر لقطع الجولة ، بعد ان دهمه المرض .

ولقد عقب أحد الزعماء التونسيين الأحرار على هذه الأنباء ، وقال ان عملية اغتيال بورقيبة كان تنفيذها سيتم فى مدينة « حابس » بالجنوب .. وقال ان بورقيبة يعد ابنه (بورقيبة الصغير) لتولى رئاسة الجمهورية من بعده .. وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه ..

٧ ـ وهذا ينقلنا الى العامل الأخير فى سلسلة العوامل الهامة لانهيار الحكم الرجعى فى تونس : فان مسألة « الخلافة » نفسها .. بدت تثير المتاعب داخل أسرة بورقيبه نفسه: فزوجتهالفرنسية

ترى انها تستطيع أن « تتعاون » مع رجل مثـل المنجى سليم المتعصب لفرنسا ، وتكاد وزارة بورقيبة تنقسم بين الإتجاهين ، على حين تجد من يؤيدها فى هذا الاتجاه خفية .. والمخابرات الامريكية تؤيد ترشيح بورقيبه الابن لوراثة « العرش الجمهورى العجيب . صراع خفى ، ولكنه موجود . ومحسوب بين عوامل التفكك والانهيار تحت ضغط التيار الشعبى المتصاعد فى تونس .

البَابُ الرّابع

رأى الدين في سياسة بورقيبه

اذا كانت سياسة بورقيبة - كما تبين - سياسة خرقاء هدفها اشاعة الفرقة بين المسلمين ، والتمكين لأعداءالدين في قلب الوطن العربى ، مهبط الرسالات السماوية ، لا لشىء الا لتكديس خزائن بورقيبه وحفنة من زبانينه بالأموال الحرام ، فهى أيضا طريق أدت بصاحبها الى الكفر البين .

فلقد خرج بورقيبة على طاعة الله . وجعل من نفسه مفتيا فى شئون المسلمين ، يبيح ماحرم الله ، ويحرض المسلمين على الافطار فى رمضان ، وكأنه لم يسمع قول الله تعالى :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه)

لكن (الخواجة) بورقيبه يرى أن الصيام من التقاليد البالية التى لا يجب التمسك بها . ويحث الشباب على التخنث واطلاق شعورهم والتنعم ، وهو الذى لم يترك للشعب التونسى سوى الفتات .

ان حكم القرآن فى بورقيبه ومن هم على شاكلته صريح وقاطع ، فهو يقضى باسقاط الولاية عن المضللين من أمثاله بل ومقاتلتهم ، فى قوله جل شأنه : **(ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا)** .

وبورقيبه لم يكتف بالافتراء على كتاب الله الكريم ، بل هو ينطلق فى غيه وضلاله ، ويسلك سبيل الهاوية بأسلوب الاغتيال والارهاب ، يريد أن يخرس صوت الحق الذى يتردد على ألسنة

الأحرار الدين هالهم ما آل اليه الحال فى تونس ٠ ولقد كان من نتيجة هذه السياسة الحمقاء أن قتل عشرات من زعماء المعارضه ظلما وعدوانا . وفى مقدمهم الشهيد صالح بن يوسف ٠

وبدلك فقد حلت لعنه الله على هدا العميل المأجور فى قوله تعالى. **(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيما) ٠ و (من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا) ٠**

ويمضى بورقيبه فى طريقه المنحرف لا يلوى على شىء فلا يكتفى بما أثم فى حق الشعب التونسى ٠ وأحرار تونس ، فنجده يرتمى فى أحضان الاستعمار وعلى أعتاب الصهاينة يتخذ منهم أولياء له ، ويريد أن يعرض ولا يتهم على المسلمين ٠ وبئس الولايه . وبئس الولايه الرابطة التى أقامها بورقيبه باتفاق القواعد العسكريه . وبولائه لوكالة المخابرات المركزية الامريكيه ٠

من هنا فان الشعب التونسى قد أصبح فى حـــل تماما من الناحيه الشرعيه فى أن يسقط هداالباغى ، الذى يدعى بأن تونس تنتمى لأوربا تاريخا وعقيدة وثقافة . ويدعو الى التخلى عن اللغـه العربية . لغة القرآن ٠ يريد بورقيبه أن يحكم الشعب التونسى بأسلوب الصهاينة والاستعماريين . الذى لا يفترق عن أسـلوب الجاهليه ، حيث كانت القـوة والبطش ، والاستغلال ، والانحلال هى الملامح السائدة .

(أفحكم الجاهلية يبغـــون ومن أحســن من الله حكما لقوم يوقنــون ٠ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أوليـاء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) ٠

حقا ان الله لا يهـــدى القوم الظالمين · ولقد باءت السياسة البورقيبية بفشل ذريع · وباءت بالخسران تلك الحـــروب الخفية التى شنوها ضد الجمهورية العربية المتحدة . قلعة العروبة النابض ورائدة النضال الشريف من أجـل البناء ومن أجل السلام . حرب خفية على امتداد العالم الاسلامى كله . سلاحها الأساسى هو المال وشراء الذمم وسندها الأساسى هو الاســتعمار أعدى أعداء الاسلام وأحقد الحاقدين عليه ·

كانوا يريدون خلق تنــاقض مصطنع بين الاشتراكية وبين الدين ·· ناسين أو متناســـين أن التناقض الحقيقى هو مابين استغلالهم لشعوبهم وبيعهم هذه الشعوب للقـــوى والمصــــالح الاستعمارية ·· ومابين الدين الذى هو فى جوهره دعوة الهيــة للعدل الاجتماعى ·· والى المساواة بين الناس والى الحرية ··

ولكن المسلمين ببصيرتهم النافذة . التى هى قبس من هدى القرآن . أدانوا هذه الدعوة الفــاجرة للحلف المسمى بالاسلامى ، وهو ليس الا حلفـــا جديدا لصالح القوى الراغبــة فى السيطرة ، باعتراف مذكـرات دوايت ايزنهــاور رئيس الولايات المتحـــدة الامريكية الأسبق · ومن حسن الطالع أن تظهر هذه المذكرات حين بدأ الذين تلقوا هذه الدعوة المسمومة يحددون موقفهم منها · · واذا المتحمسان لهذه الفكرة . فكرة الحلف·· هما شاه ايران داعية حلف بغـــداد المنهار وصديق اسرائيل فى الشرق ، ثم الخواجة بورقيبه داعية الخضوع المطلق للاستعمار الجديد وصاحب دعوة الصلح المشئومة مع اسرائيل ·

فهل يعلم بورقيبه أى هاوية يتردى فيها ؟ لا شك أنه يعلم · والطيور على أشكالها تقع · فمن شـــيمته الغدر والرياء لابد أن يبحث عن أصدقائه ويرتمى على اعتــابهم . ومن الطبيعى أن يعقد

بورقيبه حلفا مع أوليائه في واشنطون ومع أقرانه في طهران وفي عمان ، ومن الطبيعي أن يسقط المسلمون هذا العميل من حسابهم .

لكنه ليس من المألوف أن يتظاهر بورقيبه بالاسلام وصولا الى أهدافه الشخصية ، وفي سبيل عرض زائل . بيد أنها طبيعة الغدر والنفاق والكذب التي يتصف بها بورقيبه ، ويتصف بها كل رجعي وعميل ، وهي سمات مشتركة بينهم وبين اليهود الذين يدعو بورقيبه الى الصلح معهم .

فقد كذب بورقيبه على نفسه وعلى التاريخ حينما جلس في مؤتمر القمة العربي الاول يقطع عهدا وميثاقا بأن يعمل جنبا الى جنب مع قادة العرب ومع الشعب العربي على استعادة فلسطين العربية التي سلبها اليهود ومن ورائهم الاستعمار . . وقد غدر بورقيبه وفجر بانشقاقه على العرب والمسلمين واعلان عمالته للاستعمار الجديد ، وتحالفه مع سائر الرجعيين . كل هذا فعله بورقيبه بين عشية وضحاها .

ويذكرنا هذا الموقف بموقف اليهود الغادر في صدر الاسلام . وهو موقفهم حتى يومنا هذا .

فقد كان بعض اليهود يتظاهرون بالاسلام ليندمجوا في صفوف المسلمين ويبذرون فيهم بذور الفتنة والفساد ، فكانوا يجلسون الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويحاولون احراجه بالأسئلة المريبة على مرأى ومسمع من المسلمين ، فيظهر عليهم بالبيان والحجة الواضحة .

ويروى أن جماعة منهم قالوا : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم

دينهم ، فكشف الله دخيلتهم ، ونزلت فيهم الآية الكريمة : (**ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**)، ثم حذر منهم بقوله تعالى : (**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ، قل ان الهدى هدى الله** ..)

حقا انهم (أهل غدر وكذب وفجور) ، قالها فيهم صادقا وعن تجربة كبير من أحبارهم هو (الحصين بن سلام) الذى عرف بعد اسلامه باسم (عبد الله بن سلام) .

ويقول ابن اسحق ــ مؤرخ السيرة النبوية ــ فى قصة اسلام عبد الله بن سلام أنه قال لرسول الله : يا رسول الله أن يهود قوم بهت ، وانى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك ، وتغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا اسلامى فانهم ان علموا به بهتونى وعابونى .

فأدخله رسول الله فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه ، وسألوه ، ثم قال لهم : (أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟) قالوا: (سيدنا وابن سيدنا ، حبرنا وعالمنا) ، فلما فرغوا من قولهم ، خرج عليهم وقال لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله ، واقبلوا ماجاءكم به ، فوالله انكم تعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوارة باسمه وصفته ، فانى أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه ، وأعرفه) فقالوا : (كذبت) .

فقال لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : (ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر ، وكذب ، وفجور ..؟)

شهادة حق ممن وصفوه هم بأنه حبرهم ، وعالمهم وسيدهم وابن سيدهم .. وقد توالت بعد ذلك الدلائل القاطعة على صدقها فى أعمالهم ومواقفهم من الرسول ومن المسلمين الى هذه اللحظة .

ولعل أظهر الدلائل على أن اليهود - الذين يرتمى بورقيبه على أعتابهم - كانوا دائما مصدر الفتنة والوقيعة والنفاق أن الآيات القرآنية التى نزلت فى المنافقين كانت كلها فى المدينة وليست فى مكة . واليهود كانوا فى المدينة .

وكانت سوره (البقرة) هى أول سورة من القرآن الكريم نزلت بالمدينة ، وجاء فى تفسير الطبرى : (أن صدر سورة البقرة الى المائة منها نزل فى أخبار اليهود والمنافقين) .

وآخر سورة نزلت بالمدينة كذلك هى سورة (براءة) أو سورة (التوبة) ، وهذه فضحت اليهود والمنافقين ، ولذلك وصفت (بالفاضحة) .

هؤلاء هم اليهود - نفس اليهود - الذين سلبوا بالخديعة أرضا عربية ، وأخرجوا شعبا بأكمله من دياره ، شعب عربى مسلم تحول الى لاجئين ، يعيشون فى المخيمات عرضة للامراض فى زمهرير الشتاء وقيظ الصيف . قصة يعرفها جيدا بورقيبه كما يعرفها العالم بأسره . ولكن بورقيبه يبدو أنه أصيب بالصمم وأعمى الربح الحرام بصيرته وختم على قلبه . فراح يساوم على قضية فلسطين ونسى - أو تناسى - أن قضية فلسطين هى أمر يخص شعب فلسطين ومائة مليون عربى فى الدول العربية بينهم شعب تونس نفسه ونسى بورقيبه ، فى ضلاله ونفاقه أنه بخروجه على اجماع العرب لم يعد عربيا ، وبخروجه على اجماع المسلمين لم يعد مسلما ، بل أصبح شأنه

شأن اليهود الصهاينة وشأنه شأن الاستعمار فى كافة صوره وشأنه شأن الخوارج مثيرى الفتن ، يجب مكافحته وسحقه .

وبورقيبه بخيانته للعهد والميثاق فى سائر القضايا العربية الاسلامية ينطبق عليه ماينطبق على اليهود فى فلسطين المحتلة ، وقد وصف القرآن الكريم هذه الشرذمة بقوله .

(لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) .

ويحض المسلمين فى آية أخرى على مقاتلتهم .

(ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول . وهم بدأوكم أول مرة) .

ولقد قال علماء المسلمين رأيهم صريحا فى بورقيبه . فى مؤتمرهم الجليل الذى عقد فى القاهرة منذ شهرين . كما قالوا رأى الاسلام فى الدعوة الخادعة التى يروج لها لحساب سادته الاستعماريين ، ونبهوا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وحذروهم من خطر هذه الدعاية المسمومة التى تتستر وراء اسم الدين الحنيف ، كما خرج صوت الحق من القاهرة ومن كل بلد عربى حر يكشف أمام الرأى العام الاسلامى هذه المؤامرة الخسيسة التى تستهدف وضع العالم العربى والاسلامى تحت سيطرة التكتلات العسكرية مع أعدى أعداء الاسلام .

وليس غريبا بعد كل ماتقدم أن يخرج بورقيبه على اجماع المسلمين .. لأنه يدين بالولاء لأعداء المسلمين ، ويستبيح حرمات الشريعه الاسلامية ويفخر بمخالفتها .. ولكم رزئت الأمه الاسلامية — على مر الأجيال — بأمثاله وسرعان ما سحقهم المجاهدون من

أبنائها على طريق النضال ، فاندثروا غير مأسوف عليهم ، وبقى الاسلام مرفوع اللواء عزيزا كريما ، وظلت العروبة تزداد قوة على الأيام بفضل عزائم المخلصين من قادتها وبوعى شعبها العتيد. وكانت قوة الارادة والايمان العميق وصلابة العود هى الدرع الذى تحطمت عليه سهام المشركين والمنافقين .

فليمض بورقيبه فى طريقه بلا عودة ، وليواجه مصيره المحتوم على أيدى المكافحين الأبرار فى تونس جزاء وفاقا . لاجرامه فى حق الدين وفى حق الأمة العربية وفى حق الانسانية جمعاء . فقد باءت دعوته بالفشل وخسرت بضاعته الرخيصة الهزيلة .

(ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) .

خاتمة

.. وبعــد فهذه صــفحات موجزة عن بورقيبه أحد ركائز الاستعمار الجديد في العالم العربي ..

ذلك الرجل الذي كشف عن وجهه الحقيقي في لحظة يحتاج فيها العرب الى وحدة الصف للصمود في وجه الطغيان الاستعماري على الأمة العربية بأسرها ، ويجعلها داخل مناطق نفوذه .

ذلك العميل الــذى انخدع به شعب تونس حينا من الدهر كما انخدعت به الشعوب العربية ، وآوته القاهرة في فتــرة كان فيها عربيا - فانقلب على امه وانقلب على شعبه .. وانضم الى ركب الرجعية المتعاونة مع الاستعمار وجلب الخراب على بلاده .. ونادى بالكفر مع المنادين بالأحلاف والتكتلات العسكرية تحت اسم الــدين .

ولكن خداعه لم يدم طويلا ، كما لم يدم طويلا خداع فيصل ، وحسين وشاه ايران - وظهرت الرجعية بوجهها المقيت ، واجهات استعمارية . حكومات شكلية ، مضمونها واتجاهاتها استعمارية :

وصدق فيهم قول الله تعالى : (**يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون الا أنفسهم ومايشعرون**) .



واذا كانت الرجعيـــة قد حاولت أن تســـتغل فرصة الهدوء النسبى والحرية المتاحة • للدول العربية أن تعمل داخل حدودها، لكى تجعل منها حرية العمل الرجعى ضد الثورة العربيـــة وضـــد القومية ، فان الرجعية كانت واهمة • ولقد ظن الاستعمار أن بعض الظروف قد تواتيه فى العـــالم العربى ، ولكن ذلك من خـداع البصـــــر •

فالقوى الرجعية لن تعود الى التحـكم فى العالم العـــربى ومهما بدا أنها تتحرك وأن زمام المبادأة فى يـدها فانها فى الواقع تثخبط والتخبط وان بدا فى لحظـــة من اللحظات حركة فانه في نهاية المطاف محكوم عليه بالدوار والسقوط •

(أولئـــك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين) •

(صدق الله العظيم) •



الثمن قرشان

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)